السياسية الخارجية

للرسول ﷺ

تأليف

الدكتور/ عبد العزيز بن إبراهيم بن علي البليهد

مؤسسة الجليمي للنشر والتوزيع

الطبعـــة الأولى

لمؤسسة الجليمي للنشر والتوزيع

١٤٣٧هـ= ٢٠١٦م

مؤسسة الجليمي للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذُ بالله من شُرور أنفسنا وسيِّئات أعمالِنا، من يهده الله فهو المهتد، ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهدُ أن لا إله إلَّا الله وحده لا شَريك له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله، صلَّى الله وسلَّم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعدُ:

فإن أي دولة في العالم مهما كان شأنها لا بد لها من التعامل والتعاطي مع الدول المجاورة، وذلك عبر سياسة خارجية واضحة المعالم، مرسومة ومتبناة من قبل قادة تلك الدولة. وتتنوع هذه العلاقات الخارجية على التعاون وحسن الجوار والتكامل وتبادل الزيارات وإبرام الاتفاقيات وتقريب وجهات النظر، وقد تكون العلاقات بين دولة وأخرى تسودها الخصومة أو الجفاء أو القطيعة وصولا إلى العراك والحرب.

ومن الطبيعي أن يتبنى الأنبياء عملية الاتصالات الخارجية لإبلاغ رسالة ربهم وذلك على الرغم من ضعف وسائل الاتصال حينذاك، وصعوبة عملية الاتصال.

ورسولنا ﷺ باعتباره صاحب الرسالة الإسلامية العالمية كان لزاما عليه أن يحيط بما يجري حوله في الأقاليم المجاورة، ومعرفة أخبارها لدعوتها إلى الإسلام، وقد أثبت الرسول ﷺ مقدرة تامة وبراعة كاملة في التحرك الخارجي عبر بعد النظر، وتشخيص الصالح من الطالح، وتمييز الطيب من الخبيث، جلبًا للمصالح ودرءًا للمفاسد، مع التقدير المناسب للأمور، والقدرة الفائقة في عملية الكسب إلى الإسلام، ووضع الأمور في نصابها.

ولم تكن المسألة يسيرة أبدًا، حيث بادر رسولنا ﷺ في بداية الأمر إلى مخاطبة الملوك ورؤساء القبائل عبر إرساله الموفدين والرسل من قِبله، وهم يحملون رسالته الشفوية أو الخطية التي تفوح منها رائحة الإسلام والدعوة إلى اتباع تعاليمه، والدخول في دينه.

هذا وقد مارس الرسول ﷺ السياسة بمفاهيم مثلى قد لا يستوعبها الكثير من الناس آنذاك، ولكنه ﷺ عاش الواقع ومارس فن الممكن، فلم ينقض عهدًا، ولم يغدر بعدو، ولم يتخل عن صديق، وسالمَ ووادع وعاهد وأرسل وتلقى الوفود.

وفي هذا رد عملي على الكثير من الناس ممن ينتقدون خطأً أن الإسلام لا شأن له بالسياسة الخارجية، فهم يظنون أن الإسلام إنما هو فقط الجانب الديني والروحي، وربما تناول الجانب الاجتماعي داخل المجتمع الإسلامي ثم لا شأن له فيما تجاوز هذا.

ولما كان هذا القول- الذي هو تخرُّص وظنّ- فيه أكبر الإساءة إلى الإسلام؛ لأنه يجعل المسلمين ينصرفون عن تطبيق جانب خطير وهام من جوانب الإسلام، فكان لزامًا علينا التعريف بهذا الجانب وإبرازه، حتى يقف من يهمهم الأمر على كيفية تنظيم الإسلام لأمور السياسة الخارجية، بطريقة هي بلا ريب أفضل وأحكم من الطرق التي ينظم بها

فقهاء القانون الوضعي السياسة الخارجية سواء من الناحية العملية أو من الناحية العلمية.

من أجل هذا كان هذا البحث المتواضع لإظهار المزايا والفوائد.

وقد قسمت هذا البحث إلى تمهيد وثلاثة فصول:

التمهيد: عن القواعد الأساسية التي تحكم العلاقات الدولية في الإسلام.

الفصل الأول: عن المعاهدات في الإسلام.

الفصل الثاني: عن الرسل والسفراء والمكاتبات الدولية في الإسلام.

الفصل الثالث: عن الوفود، استقبالها وإجازتها.

والله أسأل أن يتقبل هذا البحث بقبول حسن، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، فمنه سبحانه وتعالى نستمد العون وبه الثقة وعليه التكلان.

وكتبه

د/ عبد العزيز بن إبراهيم بن علي البليهد

تمهيد
القواعد الأساسية في العلاقات الدولية

لقد وضع الإسلام قواعد أصيلة هي الأساس في معاملة المسلمين لغيرهم. ولو أمعنا النظر واستعرضنها آيات القرآن الكريم والسنة النبوية لوجدنا الكثير والكثير من النصوص التي تشير إلى هذه القواعد، والتي تكلم عنها علماء وفقهاء الإسلام وأئمة التاريخ والسير، ومصنفاتهم كثيرة متداولة.

ومن هذه القواعد:

١- العدل:

وهو الغاية من الحكم في الإسلام، وهو الركيزة والقاعدة التي انطلق منها فاتسعت رقعته، وكثر أتباعه والشريعة الإسلامية- كما قال الإمام ابن القيم- عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها، فكل مسألة خرجت من العدل إلى الجور، ومن الرحمة إلى ضدها، ومن المصلحة إلى المفسدة، ومن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل، فالشريعة عدل الله بين عباده،

ورحمته بين خلقه، وظله في أرضه(١).

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨]، ومن مثل الإسلام العليا العدل مع الأعداء ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ﴾ [المائدة: ٨].

٢- المعاملة بالمثل:

من ركائز النظام الإسلامي، وسبيله في معاملة الآخرين، ولا يجيز ديننا تجاوز الحد في رفع الظلم ورد العدوان، ولا يقر البغي أو التعدي، بل يكتفي بالرد عليه بمثل ما حصل منه دون تجاوز من أجل ردع الظالم وقهره.

قال تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾ [النحل: ١٢٦].

وعلى جانب آخر فإن الإسلام يمنح للدول المتعاملة مع الدولة الإسلامية من المزايا التجارية والاقتصادية وغيرها، مع التيسير على رعاياها بمثل ما تمنحه تلك الدول لدولة

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين (ج٣/ ص٥).

الإسلام، قال تعالى: ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴾ [الرحمن: ٦٠].

٣- الوفاء بالعهد:

فلقد جاء الإسلام بالسلام القائم على العدل والكرامة، السلام مع من يجنح إليه ويترك العدوان ويبدي استعداده للتعايش مع الآخر، ومن سبل السلام وأهم عوامله اعتباره للمعاهدات وإجازتها سواء لفض النزاع أو إنهاء حالة الحرب وإطفاء أوارها أو تسوية العلاقات، ولن تؤتي هذه المعاهدات ثمارها المرجوة إلا إذا كان هناك احترام متبادل وثقة بين الأطراف وعزم أكيد على الوفاء وعدم الغدر. قال تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا﴾ [الإسراء: ٣٤]. وقال ﷻ: ﴿ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ﴾ [النحل: ٩١].

والسنة النبوية حافلة بالنصوص المتعددة التي تحرص على وجوب الوفاء بالعهد والمحافظة على الالتزام به، كما في الصحيحين من حديثه ﷺ: «لكل غادر لواء يوم القيامة

يعرف به».

فلا تأثير للعاطفة على الوفاء بالعهد، فالوفاء بالعهد فوق الرحمة والعاطفة الإنسانية.

وفي صحيح مسلم من حديث حذيفة بن اليمان أنه قال: ما منعني أن أشهدا بدرًا إلا أني خرجت أنا وأبي حسيل- يعني والده- قال: فأخذنا كفار قريش، قالوا: إنكم تريدون محمدًا، فقلنا: ما نريده، ما نريد إلا المدينة، فأخذوا علينا عهد الله وميثاقه لننصرفن إلى المدينة، ولا نقاتل معه، فأتينا رسول الله ﷺ فأخبرناه الخبر، فقال: «انصرفا، نفي لهم بعهدهم، ونستعين الله عليهم».

هذا مثال واحد لتعاليم الإسلام لأتباعه، وتربية النبي ﷺ لأصحابه في وجوب الاستمساك بالعهد والنهي عن الغدر.

٤- نصرة الضعفاء:

لقد جاءت الشريعة بنصرة الضعفاء ورفع الظلم والضيم عن المظلومين، وكف يد المعتدي، وهذا من أهداف الإسلام السامية. بل ويدعو رسولنا محمد ﷺ إلى نصرة الضعيف بأي طريق من طرق العدل والإنصاف فقال: «انصر

أخاك ظالما أو مظلوما»(١).

فإن كان ظالمًا يلزمك نهيه عن الظلم وذلك من نصره إياه، أن يكف يده عن الظلم والأذى والاعتداء، وإن كان مظلومًا يلزمك مساعدته ورفع الظلم عنه. ويحذر ﷺ من الظلم ويخبر أنه ظلمات يوم القيامة، وأن عاقبته وخيمة، وقال ﷺ: «واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»(٢).

يقول الشيخ محمد أبو زهرة: (إن الإسلام لا ينظر فقط إلى حماية الدولة الضعيفة من الدولة القوية، بل إنه يعمل على حماية الشعوب التي أرهقها الطغيان، وأضعف الاستبداد فيها النخوة، وقد كانت كتب النبي ﷺ والقادة متضمنة الدعوة إلى الإسلام، ومتضمنة النص بأن عليهم التبعات فيما يتعلق برعاياهم، وأن عليهم أن يطلقوا حرياتهم، ليفهموا الإسلام فيعتنقوه إن أرادوا مختارين»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه.

(٢) أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما.

(٣) العلاقات الدولية في الإسلام (ص ٤٣).

٥- تكريم الإسلام للإنسانية واعتبار الناس أمة واحدة:

إن مكانة الإنسان في الإسلام لها شأن عظيم، ومكانة الإنسانية في الإسلام عالية، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٠]. هذه الكرامة التي كرم الله بها الإنسانية هي الأساس التي تقوم عليه العلاقات بين بني آدم، وهي التي جعلها الإسلام درعًا وحصنًا حصينًا يدرأ بها عن الإنسانية نزوات الطغاة والجبابرة.

ويقرر الإسلام أن الناس كانوا أمة واحدة، ثم زاد تعدادهم وتباعدت أوطانهم، واختلفت لغاتهم، وأصبحوا شعوبًا وقبائل ليتعارفوا ويتكاتفوا ويكونوا يدًا واحدة لإصلاح الأرض وإعمارها وجلب المصالح ودفع المضار، وهذا التنوع بين بني الإنسان لا يقتضي التنازع والشقاق بل يقتضي التعاون والوفاق، فليس لأحد أن يطغى على أحد، ولا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود، الجميع سواسية كأسنان المشط، وميزان التمايز والتفاضل

والتقديم والتأخير بين الناس إنما هو ميزان التقوى والسبق في الإسلام كما قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

٦- حرية الاعتقاد:

إن اختلاف الناس في مللهم وتفاوتهم في عقائدهم سنة من سنن الله في خلقه، ولولا ذلك لما كان هناك جنة ولا نار ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩].

لقد أعلن الإسلام حرية الاعتقاد وكفلها للناس جميعًا في إطار الإيمان بالله وحده، فقد نهى الإسلام عن إكراه أصحاب الأديان السماوية لحملهم على الدخول فيه ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦] لكن الذي يجب على المسلمين حكامًا ومحكومين هو إزالة الحواجز التي تحول دون بيان الحق للناس، فإذا تبين الحق من الباطل فهم بعد ذلك بالخيار، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر.

يقول الشيخ محمد الغزالي: «الإسلام ما قام يومًا ولن يقوم أبدا على إكراه؛ لأنه واثق من شيء واحد: من نفاسة

تعاليمه وجودة شرائعه، كل ما يبتغي من الناس أن يجد مكانًا في السوق العامة يعرض فيها ما لديه على العيون المتطلعة، والبصائر الناقدة، فإذا لم تكن جودة الشيء هي التي تغري بالإقبال عليه وقبوله فلا كان قبولًا ولا كان إقبال، وهذا سر قانونه الوثيق ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

** * **

الفصل الأول
المعاهدات في الإسلام

إذا ما استعرضنا لفظ المعاهدات في القرآن العظيم وكتب الفقه والسنن نجد أنه يطلق على الاتفاق الخاص بالقتال ومشاكل الحروب، وإن كان يطلق (المعاهدات) على الاتفاقات الدولية الهامة ذات الطابع السياسي كالصلح والتحالف ونحوهما، لكننا سنعني بمشاكل الحروب لأن تأثيرها على العلاقات الدولية أكبر تأثيرًا من غيرها.

وقد جاء الإسلام داعيًا إلى السلام القائم على العدل والإنصاف والكرامة، وشرع المعاهدات وأجاز موادعة الدولة الإسلامية لغيرها من الدول، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٦١]، ولا تعارض بين الآية وبين قوله ﴿فَلَا تَهِنُواْ وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ﴾ [محمد: ٣٥]، والجمع بينهما: أنه في حالة طلب الكفار للمعاهدة وإحلال السلام فإنه يجوز للمسلمين قبول طلبهم، أما في حالة علو المسلمين وقوتهم فلا يحق لهم التقدم بطلب للسلام.

ويقول الإمام ابن كثير[(١)]: «.. فأما إذا كان الكفار فيهم قوة وكثرة بالنسبة إلى جميع المسلمين، ورأى الإمام في المهادنة والمعاهدة مصلحة فله أن يفعل ذلك، كما فعل رسول الله ﷺ حين صده كفار قريش عن مكة ودعوه إلى الصلح ووضع الحرب بينهم وبينه عشر سنين، فأجابهم ﷺ إلى ذلك».

ومن النصوص القرآنية الدالة على مشروعية المعاهدات قوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة: ٤]. وغير ذلك من الآيات التي تدعو إلى الالتزام بالعهود واحترامها والوفاء بها.

وإذا ما استعرضنا سيرة نبينا ﷺ نجدها تدل دلالة واضحة على جواز ارتباط الدولة الإسلامية بمعاهدات مع غيرها من الدول، ومن أمثلة ذلك معاهدة اليهود وموادعتهم عند مقدمه إلى المدينة، وكذلك موادعته لبني ضمرة،

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/ ص ١٨١).

وكذلك موادعته لقريش في صلح الحديبية[١].

شروط الوفاء بالمعاهدات:

١- ثبوت السلطة والاختصاص والولاية للمتعاقدين باسم الدولة، أو من ينوب عنهما ومخولا له التوقيع باسم الدولة[٢].

٢- أن تتم المعاهدة عن اختيار ورضا واطمئنان بين طرفي العقد دونما إكراه أو ضغط أو موانع معتبرة شرعًا أو ظروف قهرية[٣].

٣- أن تكون المعاهدة متفقة ومتسقة مع مبادئ الإسلام، فلا تحل حرامًا، ولا تحرم حلالًا، ولا تحوي أو تتضمن شرطًا فاسدًا. كما قال النبي ﷺ: «أي شرط ليس في كتاب فهو رد، وإن كان مائة شرط»[٤].

---

(١) وكل هذه تحتاج لدراسة، ليس الآن موضع تفصيلها، وانظر صحيح البخاري (ج٥/ ص١٥٥)، وسيرة ابن هشام (٢/ ص ١٠٦)، وطبقات ابن سعد (٢/ ص٨).

(٢) انظر المغني لابن قدامة (١٠/ ص٥٢٠).

(٣) الفقه السياسي عند المسلمين، محمود فياض (ص٦٩).

(٤) صحيح البخاري (٣/ ص ٢٥١).

٤- الالتزام أن تكون المعاهدة مؤقتة بمدة معلومة أقصاها عشر سنين؛ لأن النبي صالح قريشًا على وضع الحرب عشر سنين، وهذه مدة كافية لكي تستعيد الدولة الإسلامية عافيتها وقوتها، وتتأهب لحمل رايتها ونشر وتثبيت دعوتها.

وأما التأبيد، فقد نقل الإمام الطبري[١] إجماع الفقهاء على عدم جواز ذلك وأنه لا بد من التحرير بعشر سنوات فأقل، والسبب في منع التأبيد أن فيه تعطيل للجهاد.

٥- أن تكون المعاهدة واضحة النصوص، محكمة البيان لا التباس فيها ولا تشابه، ولا مجال فيها لمخادع، ولا مدخل فيها لمؤول، بل يجب أن تكون محددة المطالب من كل طرف، لا يشوبها غموض أو خفاء في بعض بنودها أو ألفاظها، قال تعالى ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [النحل: ٩٤].

---

(١) اختلاف الفقهاء للإمام الطبري- كتاب الجهاد (ص ١٤).

والآية تدل على حرمة اتخاذ العقود والأيمان والعهود ستارًا للخدعة والفساد(١).

وجاء في كتاب علي بن أبي طالب رضي الله عنه للأشتر النخعي في الحض على وضوح نصوص المعاهدات: «لا إدغال ولا مدالسة ولا خداع فيه، ولا تعقد عقدًا تجاوز فيه العلل، ولا تعولن على لحن القول بعد التأكيد والتوثقة»(٢).

٦- أن تكون المعاهدة لمصلحة الإسلام والمسلمين، وتقدير المصلحة راجع إلى الإمام، مع أخذ رأي أهل العلم والذكر، قال أبو عبيد: «إنما تكون الموادعة بين المسلمين وأهل الشرك، إذا خاف الإمام غلبة منهم على المسلمين، ولم يأمن على هؤلاء أن يضعفوا، أو أن يكون يريد بذلك كيدًا»(٣).

٧- كتابة المعاهدة باللغة العربية، لغة القرآن؛ ولأنها اللغة الرسمية للدولة الإسلامية، وهكذا كان يفعل النبي صلى الله عليه وسلم في

(١) المعاهدات الدولية في الشريعة الإسلامية، لإياد هلال (ص٦٠).
(٢) الشريعة الإسلامية والقانون الدولي العام، لعلي منصور (ص٣٦٠).
(٣) كتاب الأموال، لأبي عبيد (ص٢٣٤).

مراسلاته ومعاهداته، مع تعلم لغة الدول الأخرى، كما في الحديث عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنها تأتيني كتب لا أحب أن يقرأها كل أحد فهل تستطيع أن تتعلم كتاب العبرانية أو قال: السريانية، فقلت: نعم، وتعلمتها في سبع عشرة ليلة»(١).

ومن الأفضل أن تكون المعاهدة من نسختين، مع إشهاد رجال من الطرفين كما حدث في صلح الحديبية.

ويمكن أن تترجم النسخة الثانية إلى اللغة المعتبرة عنده.

❊ ❊ ❊

---

(١) صحيح البخاري (ج٩/ ص٥٤)، ومسند الإمام أحمد (٥/ ١٨٢).

الفصل الثاني
الرسل والسفراء والمكاتبات الدولية

إن الإسلام لا يمانع من إقامة علاقات بين الدول الإسلامية وغيرها من الدول التي لا تدين بالإسلام، على ما فيه مصلحة للطرفين، بشرط عدم الاعتداء على الإسلام أو المساس بحقوق المسلمين أو عقيدتهم.

وإذا أمعنا النظر في سياسة الرسول في الإدارة الخارجية، لوجدنا أنه ﷺ بعث البعوث وأرسل السفراء لرؤساء الحكومات في ذلك العصر، وفي ذات الوقت استقبل مبعوثين من الآخرين، مع عقد الأمان للرسل والسفراء.

قال ابن قدامة: «ويجوز عقد عقد الأمان للرسول والمستأمن، لأن النبي ﷺ كان يؤمن رسل المشركين، ولما جاءه رسولا مسيلمة قال: «لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكما»[1]؛ ولأن الحاجة تدعو إلى ذلك، فإنا لو قتلنا رسلهم لقتلوا رسلنا، فتفوت مصلحة المراسلة، ويجوز عقد

---

(١) أخرجه أحمد وأبو داود.

الأمان لكل واحد منها مطلقًا ومقيدًا، سواء كانت طويلة أو قصيرة)(١).

وفي سيرة النبي ﷺ ما يشير إلى أنه ﷺ جعل العباس رسولًا مقيمًا في مكة إلى ما قبل الفتح، وقد رغب ﷺ في بقائه بمكة ولم يوافق على طلبه للهجرة إلى المدينة، وذلك بغية معرفة أخبار قريش مفصلة في حينها، ورعاية المسلمين المستضعفين الذين لم يتمكنوا من الهجرة إلى المدينة، ورعاية مصالح أولئك الذين هاجروا وتركوا الأهل والأموال، وكذلك من الأهداف الدعوة سرًا إلى الإسلام وعقيدته.

صفات السفراء:

لقد اهتم الإسلام بالصفات الجسمية والملكات العقلية للسفراء لما لها من الأثر في إنجاح مهمته، وبلوغ الغاية التي أرسل لأجلها. فلا بد من توافر الجسامة والوسامة وتمام العقل وحدة الذكاء وسرعة البديهة والفطنة واتقاد الذهن، حتى لا تقتحمه الأعين، ولا تزدريه الأنظار، ولا تتكرهه

(١) المغني في الفقه لابن قدامة (ج١٠/ ص ٤٣٦).

الأنفس، وحتى يحظى بالمنزلة الرفيعة والحظوة لدى المرسل إليهم.

وكان رسول الله ﷺ يستحب أن يكون السفير حسن الوجه والاسم، كما في الحديث: «إذا أبردتم إلي بريدًا فليكن حسن الوجه حسن الاسم»(١).

وقال ابن الفراء: (ويستحب في الرسول تمام القد وعبالة الجسم حتى لا يكون قميئًا ولا ضئيلًا، وإن كان المرء بأصغريه ومخبوء تحت لسانه، ولكن الصورة تسبق اللسان، والجثمان يستر الجنان، ولذلك قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يؤذن لكم فيقدم أحسنكم اسما، فإذا دخلتم قدمنا أحسنكم وجها، فإذا نطقتم ميزتكم ألسنتكم)(٢).

وإذا أنعمنا النظر في رسل رسول الله ﷺ نجد أنهم قد تحلوا بوسامة الصورة وجمال الهيئة وكمال العقل والنباهة.

فهذا دحية بن خليفة الكلبي أرسله ﷺ إلى قيصر، وكان دحية رضي الله عنه يضرب به المثل في الجمال وحسن الهيئة، وكان

(١) أخرجه البزار عن بريدة.

(٢) نيل الأوطار (٨/ ص٥١)، ورسل الملوك لابن الفراء (ص ٢٠).

جبريل عليه السلام ينزل أحيانًا على صورته، كما في حديث أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا(١).

وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شجاعًا يراقب الله فيما يفعل وما يذر من الأعمال، لا تأخذه في الحق لومة لائم، فحينما جاء إلى قيصر حاملًا رسالة نبينا ﷺ امتنع عن السجود لقيصر تعظيمًا وإكرامًا، وقال: إن هذا لا يسمح به ديننا إلا لله وحده.

وكان النبي ﷺ يرغب في سفرائه أن يكونوا على علم ودراية بأهل البلدان وطبائعهم وعاداتهم وتقاليدهم، فقد أرسل عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى، وقد كان عبد الله يكثر قبل ذلك التردد على كسرى وكان أيضا من المهاجرين إلى الحبشة، فلذلك اكتسب الخبرة والحنكة والدراية في الأمور والمعرفة بأحوال الناس وطبائعهم خارج الجزيرة العربية.

وأرسل الرسول ﷺ حاطب ابن أبي بلتعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى المقوقس صاحب الإسكندرية، وكان ابن أبي بلتعة طويل الجسم جميلًا خفيف اللحية، ذكيا سريع البديهة والفطنة،

---

(١) أخرجه مسلم (رقم ١٦٧٦)، وابن سعد (٤/ ص ٢٤٩).

فلما ناظر المقوقس أعجب به المقوقس وقال له: (أنت حكيم جاء من عند حكيم)(١).

ومن صفات السفراء معرفة لغة من أرسلوا إليهم، ولهذا قال النبي ﷺ: «إن الله بعثني رحمة وكافة، فأدوا عني يرحمكم الله» فأصبحوا وكل رجل منهم يتكلم بلغة القوم الذين أرسل إليهم»(٢).

إرسال السفراء في صلح الحديبية:

في السنة السادسة من الهجرة، لما رأى الرسول ﷺ الظروف مهيئة لدخول مكة وزيارة البيت، دعا أصحابه والمسلمين، واستنفر العرب وأهل البوادي، وهو يخشى أن تعرض له قريش بحرب أو يصدونه عن البيت.

ولما سمعت قريش بذلك ذعروا لهذا الزحف، وأخذوا في التخطيط لإبعاد النبي عن مكة بأي وسيلة، ولما علم رسول الله ﷺ بنوايا قريش الحربية، وأكد له بشر بن سفيان بأن قريشًا تريد الحرب، استشار النبي أصحابه، وأشاروا بأن

(١) طبقات ابن سعد (٣/ ١١٤)، والسيرة الحلبية (٣/ ٢٥٠).

(٢) سيرة ابن هشام (٤/ ٧٨)، وطبقات ابن سعد (١/ ٢٥٨).

يمضي لوجهه ويقاتلوا من يصدهم عن زيارة البيت.

وعلى الرغم من أنه ﷺ كان في مركز القوة، لكنه لم يكن راغبًا قط في القتال، بل كان يكره الحرب بقدر ما يحب السلام، فضلا عن أنه أحرم بالعمرة وهذا يتنافى مع الحرب والقتال.

فسار بأصحابه على غير طريقهم حرصا منه على عدم لقائهم والاصطدام بقتالهم حتى دنوا من الحديبية فبركت راحلته (القصواء)، فقال المسلمون: حل حل، يزجرونها فأبت أن تنبعث، فقالوا: خلأت القصواء، فقال ﷺ: «ما خلأت القصواء، ولكن حبسها حابس الفيل، أما والله لا يسألوني اليوم خطة فيها تعظيم حرمة الله إلا أعطيتهم إياها، ثم زجرها فقامت، فولى راجعًا حتى نزل بالناس بالحديبية.

فجاء بديل بن ورقاء، وأخبره بأن قريشا مستعدة لحربه وصده، لكن النبي ﷺ أخبره بأنه لم يأت لأجل حرب بل قصده الزيارة. فرجع بديل إلى قريش وأخبرها بما سمع من النبي ﷺ، لكن قريشا أصرت على عدم السماح له بدخول مكة وإسقاط هيبتها.

ولما رأى عروة بن مسعود الثقفي أن بديلًا لم يفلح في سفارته ولم تنجح وساطته، طلب من قريش أن يفوضوه، وأذنوا له بالسفارة والمفاوضة، فجاء وتحدث إلى النبي ﷺ، فاقتنع بخطأ قريش ورجع بمثل ما رجع به بديل، وقال لقريش: يا قوم، لقد عرض عليكم محمد خطة رشد، فمادوه[١]، فإني لكم ناصح مع أني أخاف ألا تنصروا عليه، فرفضت قريش[٢]، وبعثوا الحليس بن علقمة، وهو سيد الأحابيش[٣]، فلما رآه النبي ﷺ قال: «إن هذا من قوم يتألهون[٤]، فابعثوا الهدي في وجهه حتى يراه، فلما رأى الهدي يسيل عليه من عرض الوادي (جانبه) في قلائده[٥]، وقد أكل أوباره من طول الحبس عن محله، رجع إلى قريش

(١) اجعلوا بينكم وبينه هدنة.

(٢) إمتاع الأسماع للمقريزي (ص ٢٨٨).

(٣) القبائل التي تجمعت من غير قريش وقد تحالفوا مع قريش تحت جبل يقال له: حبشي.

(٤) يتعبدون ويعظمون أمر الإله.

(٥) القلائد: ما يعلق في أعناق الإبل لبيان أنها من الهدي.

ولم يلتق بالنبي ﷺ إعظامًا لما رأى، فقال لقريش ذلك، فقالوا له اجلس فإنما أنت أعرابي لا علم لك. فغضب الحليس وقال: يا معشر قريش، والله ما على هذا حالفناكم ولا على هذا عاقدناكم، أيصد عن بيت الله من جاء معظمًا له! والذي نفس الحليس بيده، لتخلن بين محمد وبين ما جاء به، أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد، فقالوا له: مه؛ كف عنا يا حليس حتى يأخذ لأنفسنا ما نرضى به(١).

ثم بعثت قريش مكرز بن حفص، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: إن هذا رجل فاجر أو غادر(٢) فكلمه بما كلم به من قبله، فرجع مكرز بما رجع به من سبقه، وبهذا كسب النبي جولته مع قريش والزمها بالتفاوض الجاد معه.

سفراء النبي ﷺ إلى قريش:

أرسل النبي ﷺ خراش بن أمية الخزاعي، ليبلغ أشراف قريش ما جاء به، فعقروا الجمل وأرادت قريش قتل خراش،

---

(١) ابن هشام في السيرة (٣/ ٢٠٠)، والكامل لابن الأثير (٢/ ١٣٧)، وابن سعد في الطبقات (٢/ ٩٦).

(٢) سيرة ابن هشام (٣/ ١٩٩).

فمنعته الأحابيش فخلوا سبيله، فرضي من الغنيمة بالإياب، ومع تعنت قريش ورغم ما حدث لم يضطر ذلك النبي ﷺ لإعلان الحرب؛ لأنها آخر الدواء، والحرب ليست من وسائل نشر دعوته.

لقد أراد الرسول ﷺ إرسال عمر إلى قريش، لكن عمر رضي الله عنه أشار عليه أن يرسل عثمان بن عفان حيث أنه له من القدر والاحترام عند قريش ما ليس لغيره، فدعاه النبي ﷺ وكتب له كتابًا إلى أشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت إلا زائرًا لهذا البيت ومعظمًا لحرمته، فأبلغهم عثمان رسالة النبي ﷺ، وهم يردون عليه ويقولون: إن محمدًا لا يدخلها علينا أبدًا(١).

طالت المحادثات بين عثمان وقريش، واستغرقت من الوقت أكثر مما توقع المسلمون، وأشيع بينهم أن عثمان قد قتل، حتى وصل ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال: «لا نبرح حتى نناجز القوم، فدعا رسول الله ﷺ إلى البيعة، فكانت بيعة

---

(١) ابن هشام (٣/ ٢٠١)، وابن سعد (٢/ ٩٧)، والسيرة النبوية لدحلان (٢/ ١٧٤).

الرضوان تحت الشجرة»(١).

لم يكد خبر البيعة يبلغ أهل مكة حتى أخذت قريش تعيد النظر في موقفها، وتفكر في عاقبة هذه البيعة، وأنها لن تستطيع الصمود أمام المسلمين خاصة وأن كثيرًا من حلفائها وأنصارها قد تفرقوا عنها، فرأت أن في الصلح إبقاء لهيبتها، فسارعت إلى ذلك، وأوفدت سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص، وقالت لسهيل: ائت محمدًا فصالحه، ولا يكن في صلحه إلا أن يرجع عنا عامة هذا، فوالله لا تتحدث العرب عنا أنه دخلها علينا عنوة أبدًا(٢).

فأتاه سهيل بن عمرو، فلما رآه النبي ﷺ قال: «لقد سهل لكم أمركم، قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل(٣)، فتفاوض سهيل مع الرسول وأطال الكلام، وقد أظهر الرسول ﷺ مرونة وتساهلًا مع سهيل إلى حد بعيد، ظاهره فيه الغبن والحيف، وباطنه فيه الفتح المبين كما أخبر بذلك رب

---

(١) ابن هشام (٣/ ٢٠٢)، وابن سعد (٢/ ٩٧).

(٢) ابن هشام (٣/ ٢٠٣)، وابن سعد (٢/ ٩٧)، والكامل (٢/ ١٣٨).

(٣) زاد المعاد لابن القيم (٢/ ١٢٩).

العالمين، مما لا يتسع المقام لذكره الآن، فلتراجع كتب المطولات والسير.

الدعوة ومكاتبة الملوك والأمراء:

في أواخر السنة السادسة حين رجع رسول الله ﷺ من الحديبية كتب إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام.

ولما أراد أن يكتب إلى هؤلاء الملوك، قيل له: إنهم لا يقرأون كتابا إلا وعليه خاتم، فاتخذ النبي ﷺ خاتما من فضة نقشه: محمد رسول الله، على ثلاثة أسطر:

محمد سطر، ورسول سطر، والله سطر. هكذا:

محمـــد

رســول

اللّـه(١)

واختار من أصحابه رسلًا لهم معرفة وخبرة، وأرسلهم إلى الملوك، وقد جزم العلامة المنصورفوري أن النبي ﷺ أرسل هؤلاء الرسل غرة المحرم سنة سبع من الهجرة قبل

---

(١) صحيح البخاري (٢/ ٨٧٢، ٨٧٣).

الخروج إلى خيبر بأيام(١).

وفيما يلي نصوص هذه الكتب، وبعض ما تمخضت عنه:

١- الكتاب إلى النجاشي ملك الحبشة:

وهذا النجاشي اسمه أصحمة بن الأبجر، كتب إليه النبي ﷺ مع عمرو بن أمية الضمري في آخر سنة ست أو في المحرم سنة سبع من الهجرة. وقد ذكر الطبري نص الكتاب، ولكن النظر الدقيق في ذلك النص، يفيد أنه ليس بنص الكتاب الذي كتبه ﷺ بعد الحديبية، بل لعله نص كتاب بعثه مع جعفر حين خرج هو وأصحابه مهاجرين إلى الحبشة في العهد المكي، فقد ورد في آخر الكتاب ذكر هؤلاء المهاجرين بهذا اللفظ: (وقد بعثت إليكم ابن عمي جعفرًا ومعه نفر من المسلمين، فإذا جاءك فأقرهم ودع التجبر).

وروي البيهقي عن ابن إسحاق نص كتاب كتبه النبي ﷺ إلى النجاشي، وهو هذا:

(بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد رسول الله إلى النجاشي، الأصحم عظيم الحبشة، سلام على من

(١) رحمة للعالمين (١/ ١٧١).

اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا، وأن محمدا عبده ورسوله، وأدعوك بدعاية الإسلام، فإني أنا رسوله فأسلم تسلم، ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ فإن أبيت فعليك إثم النصارى من قومك)(١).

وقد أورد المحقق الكبير الدكتور حميد الله- باريس- نص كتاب قد عثر عليه في الماضي القريب- بمثل ما أورده ابن القيم مع الاختلاف في كلمة فقط- وبذل الدكتور في تحقيق ذلك النص جهدًا بليغًا، واستعان في ذلك كثيرا باكتشافات العصر الحديث، وأورد صورته في الكتاب وهو هكذا:

(بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى النجاشي عظيم الحبشة، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد:

فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي ٢/ ٣٠٨، والمستدرك للحاكم ٢/ ٦٢٣.

السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى من روحه ونفخه، كما خلق آدم بيده، وإني أدعو إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته، وأن تتبعني، وتؤمن بالذي جاءني، فإني رسول الله ﷺ، وإني أدعوك وجنودك إلى الله ﷻ، وقد بلغت ونصحت، فاقبل نصيحتي، والسلام على من اتبع الهدى)(١).

وأكد الدكتور المحترم أن هذا هو نص الكتاب الذي كتبه النبي ﷺ إلى النجاشي بعد الحديبية، أما صحة هذا النص فلا شك فيها بعد النظر في الدلائل، وأما أن هذا الكتاب هو الذي كتب بعد الحديبية فلا دليل عليه، والذي أورد البيهقي عن ابن إسحاق أشبه بالكتب التي كتبها النبي ﷺ إلى ملوك وأمراء النصارى بعد الحديبية، فإن فيه الآية الكريمة: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ ..﴾ إلخ، كما كان دأبه في تلك

(١) انظر: (رسول أكرم كي سياسى زندكي، بالأردو) ص١٠٨، ١٠٩، ١٢٢- ١٢٥)، وفي زاد المعاد: «اسلم أنت» بدل: (والسلام على من اتبع الهدى). انظر: زاد المعاد ٣/ ٦٠.

الكتب، وقد ورد فيه اسم الأصحمة صريحًا، وأما النص الذي أورده الدكتور حميد الله، فالأغلب عندي أنه نص الكتاب الذي كتبه النبي ﷺ بعد موت أصحمة إلى خليفته، ولعل هذا هو السبب في ترك الاسم.

وهذا الترتيب ليس عندي عليه دليل قطعي سوى الشهادات الداخلية التي تؤديها نصوص هذه الكتب. والعجب من الدكتور حميد الله أنه جزم بأن النص الذي أورده البيهقي عن ابن عباس هو نص الكتاب الذي كتبه النبي ﷺ بعد موت أصحمة إلى خليفته مع أن اسم أصحمة وارد في هذا النص صريحًا، والعلم عند الله[1].

ولما بلغ عمرو بن أمية الضمري كتاب النبي ﷺ إلى النجاشي أخذه النجاشي، ووضعه على عينه، ونزل عن سريره على الأرض، وأسلم على يد جعفر بن أبي طالب، وكتب إلى النبي ﷺ بذلك، وهاك نصه:

(بسم الله الرحمن الرحيم: إلى محمد رسول الله من

(١) انظر لهذه المباحث: كتاب الدكتور حميد الله (رسول أكرم كي سياسى زندكي)، ص١٠٨- ١١٤، ١٢١- ١٣١.

النجاشي أصحمة، سلام عليك يا نبي الله من الله ورحمة الله وبركاته، الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد:

فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى، فورب السماء والأرض إن عيسى لا يزيد على ما ذكرت تفروقا[١]، إنه كما قلت، وقد عرفنا ما بعثت به إلينا، وقد قرينا ابن عمك وأصحابك، فأشهد أنك رسول الله صادقًا مصدقًا، وقد بايعتك، وبايعت ابن عمك، وأسلمت على يديه لله رب العالمين)[٢].

وكان النبي ﷺ قد طلب من النجاشي أن يرسل جعفرًا ومن معه من مهاجري الحبشة، فأرسلهم في سفينتين مع عمرو ابن أمية الضمري، فقدم بهم على النبي ﷺ وهو بخيبر[٣].

وتوفي النجاشي هذا في رجب سنة تسع من الهجرة بعد تبوك، ونعاه النبي ﷺ يوم وفاته، وصلى عليه صلاة الغائب،

---

(١) التفروق: قمع التمرة. وقال ابن القيم: (التُفروق: عِلاقة ما بين النواة والتمرة). وفيه: «وقد قرّبنا ابن عمك...».

(٢) زاد المعاد ٣/ ٦١.

(٣) ابن هشام ٢/ ٣٥٩.

ولما مات وتخلف على عرشه ملك آخر كتب إليه النبي ﷺ كتابا آخر، ولا يدري هل أسلم أم لا؟[١].

٢- الكتاب إلى المقوقس ملك مصر:

وكتب النبي ﷺ إلى جريج بن متى[٢] الملقب بالمقوقس ملك مصر والإسكندرية:

(بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم أهل القبط، ﴿**قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**﴾ [آل عمران: ٦٤][٣].

---

(١) ربما يؤخذ هذا مما رواه مسلم عن أنس ٢/ ٩٩.

(٢) هذا على رأي العلامة المنصور فوري في كتابه رحمة للعالمين ١/ ١٧٨، وقال الدكتور حميد الله: (أن اسمه بنيامين)- انظر: رسول أكرم كي سياسى زندكي ص١٤١.

(٣) هذا النص أورده ابن القيم في زاد المعاد ٣/ ٦١، والذي أورده=

واختار لحمل هذا الكتاب حاطب بن أبي بلتعة، فلما دخل حاطب على المقوقس قال له: إنه كان قبلك رجل يزعم أنه الرب الأعلى، فأخذه الله نكال الآخرة والأولى، فانتقم به ثم انتقم منه، فاعتبر بغيرك، ولا يعتبر غيرك بك.

فقال المقوقس: إن لنا دينا لن ندعه إلا لما هو خير منه.

فقال حاطب: ندعوك إلى دين الإسلام الكافي به الله فَقْدَ ما سواه، إن هذا النبي دعا الناس فكان أشدهم عليه قريش، وأعداهم له اليهود، وأقربهم منه النصارى، ولعمري ما بشارة موسى بعيسى إلا كبشارة عيسى بمحمد، وما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل، فكل نبي أدرك قوما فهم أمته، فالحق عليهم أن يطيعوه، وأنت ممن أدركه هذا النبي، ولسنا ننهاك عن دين المسيح، ولكنا نأمرك به.

فقال المقوقس: إني قد نظرت في أمر هذا النبي، فوجدته

= الدكتور حميد الله أخذا من صورة الكتاب الذي عثر عليه في الماضي القريب يختلف بعض كلماته عن هذا النص ففيه: (فاسلم تسلم يؤتك الله..)، وفيه: (إثم القبط) بدل قوله: (إثم أهل القبط) انظر: رسول أكرم كي سياسي زندكي ص١٣٦، ١٣٧.

لا يأمر بمزهود فيه. ولا ينهى عن مرغوب فيه، ولم أجده بالساحر الضال، ولا الكاهن الكاذب، ووجدت معه آية النبوة بإخراج الخبء والإخبار بالنجوى، وسأنظر.

وأخذ كتاب النبي ﷺ، فجعله في حق من عاج، وختم عليه، ودفعه إلى جارية له، ثم دعا كاتبا له يكتب بالعربية، فكتب إلى رسول الله ﷺ:

(بسم الله الرحمن الرحيم، لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط، سلام عليك، أما بعد:

قد قرأت كتابك، وفهمت ما ذكرت فيه، وما تدعو إليه، وقد علمت أن نبيا بقي، وكنت أظن أنه يخرج بالشام، وقد أكرمت رسولك، وبعثت إليك بجاريتين، لهما مكان في القبط عظيم، وبكسوة، وأهديت بغلة لتركبها، والسلام عليك).

ولم يزد على هذا ولم يسلم، والجاريتان مارية، وسيرين، والبغلة دلدل، بقيت إلى زمن معاوية[١]، واتخذ النبي ﷺ مارية سرية له، وهي التي ولدت له إبراهيم، وأما سيرين فأعطاها لحسان بن ثابت الأنصاري.

---

(١) زاد المعاد ٣/ ٦١.

٣- الكتاب إلى كسرى ملك فارس:

وكتب النبي ﷺ إلى كسرى ملك فارس:

(بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأدعوك بدعاية الله، فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة، لينذر من كان حيًا ويحق القول على الكافرين، فأسلم تسلم، فإن أبيت فإن إثم المجوس عليك).

واختار لحمل هذا الكتاب عبد الله بن حذافة السهمي، فدفعه السهمي إلى عظيم البحرين، ولا ندري هل بعث به عظيم البحرين رجلا من رجالاته، أم بعث عبد الله السهمي، وأيا ما كان فلما قرئ الكتاب على كسرى مزقه، وقال في غطرسة: عبد حقير من رعيتي يكتب اسمه قبلي، ولما بلغ ذلك رسول الله ﷺ قال: (مزق الله ملكه)، وقد كان كما قال: فقد كتب كسرى إلى باذان عامله على اليمن؛ ابعث إلى هذا الرجل الذي بالحجاز رجلين من عندك جلدين فليأتياني به، فاختار باذان رجلين ممن عنده، أحدهما: قهرمانة بانويه،

وكان حاسبا كاتبًا بكتاب فارس. وثانيهما: خرخسرو من الفرس[١]، وبعثهما بكتاب إلى رسول الله ﷺ يأمر أن ينصرف معهما إلى كسرى، فلما قدما المدينة، وقابلا النبي ﷺ، قال أحدهما: إن شاهنشاه[٢] كسرى قد كتب إلى الملك باذان يأمره بأن يبعث إليك من يأتيه بك، وبعثني إليك لتنطلق معي، وقال قولًا توعده فيه، فأمرهما النبي ﷺ أن يلاقياه غدًا.

وفي ذلك الوقت كانت قد قامت ثورة كبيرة ضد كسرى من داخل بيته بعد أن لاقت جنوده هزيمة منكرة أمام جنود قيصر، فقد قام شيرويه بن كسرى على أبيه فقتله، وأخذ الملك لنفسه، وكان ذلك في ليلة الثلاثاء لعشر مضين من جمادى الأولى سنة سبع[٣]، وعلم رسول الله ﷺ الخبر من الوحي، فلما غدوا عليه أخبرهما بذلك. فقالا: هل تدري ما تقول؟ إنا قد نقمنا عليك ما هو أيسر، أفنكتب هذا عنك، ونخبره الملك. قال: (نعم أخبراه ذلك عني، وقولا له: إن

---

(١) تاريخ ابن خلدون ٢/ ٣٧.

(٢) ملك الملوك.

(٣) فتح الباري ٨/ ١٢٧، وتاريخ ابن خلدون ٢/ ٣٧.

ديني وسلطاني سيبلغ ما بلغ كسرى! وينتهي إلى منتهى الخف والحافر، وقولا له: إن أسلمت أعطيتك ما تحت يدك، وملكتك على قومك من الأبناء)، فخرجا من عنده حتى قدما على باذان فأخبراه الخبر، وبعد قليل جاء كتاب بقتل شيرويه لأبيه، وقال له شيرويه في كتابه: انظر الرجل الذي كان كتب فيه أبي إليك، فلا تهجه حتى يأتيك أمري.

وكان ذلك سببًا في إسلام باذان ومن معه من أهل فارس باليمن(١).

٤- الكتاب إلى قيصر ملك الروم:

روي البخاري- ضمن حديث طويل- نص الكتاب الذي كتبه النبي ﷺ إلى ملك الروم هرقل، وهو هذا:

(بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أسلم تسلم، أسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ

(١) محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية للخضري ١/ ١٤٧، وفتح الباري ٨/ ١٢٧، ١٢٨.

بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٤](١).

واختار لحمل هذا الكتاب دحية بن خليفة الكلبي، وأمره أن يدفعه إلى عظيم بصري، ليدفعه إلى قيصر، وقد روي البخاري عن ابن عباس أن أبا سفيان بن حرب أخبره أَنَّ هِرَقْلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي رَكْبٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَكَانُوا تِجَارًا بِالشَّأْمِ فِي الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَادَّ فِيهَا أَبَا سُفْيَانَ وَكُفَّارَ قُرَيْشٍ، فَأَتَوْهُ وَهُمْ بِإِيلِيَاءَ(٢)، فَدَعَاهُمْ فِي مَجْلِسِهِ، وَحَوْلَهُ

---

(١) البخاري ١/ ٤، ٥. الأريسيون: الفلاحون، وهم كانوا عامة شعبه.

(٢) كان قيصر جاء إذ ذاك في إيليا- بيت المقدس- من حمص، شكرا لما من الله عليه من إلحاق الهزيمة الساحقة بالفرس. (انظر: صحيح مسلم ٢/ ٩٩)، وكانت الفرس قد قتلوا كسرى أبرويز، وصالحوا الروم على تسليم جميع ما كانوا قد احتلوا من بلاد قيصر، وردوا إليه الصليب الذي تزعم النصارى أن المسيح (عليه السلام) كان قد صلب عليه، فكان قيصر قد جاء إلى إيليا (بيت المقدس) سنة ٦٢٩ م (أي سنة ٧ هـ) يضع الصليب في موضعه ويشكر الله على هذا الفتح المبين.

عُظَمَاءُ الرُّوم، ثُمَّ دَعَاهُمْ وَدَعَا بِتَرْجُمَانِهِ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا بِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ؟ فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَقُلْتُ: أَنَا أَقْرَبُهُمْ نَسَبًا. فَقَالَ: أَدْنُوهُ مِنِّي وَقَرِّبُوا أَصْحَابَهُ، فَاجْعَلُوهُمْ عِنْدَ ظَهْرِهِ، ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ: قُلْ لَهُمْ إِنِّي سَائِلٌ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ، فَإِنْ كَذَبَنِي فَكَذِّبُوهُ. فَوَاللهِ لَوْلَا الْحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْثِرُوا عَلَيَّ كَذِبًا لَكَذَبْتُ عَنْهُ.

ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَنْ قَالَ: كَيْفَ نَسَبُهُ فِيكُمْ؟ قُلْتُ: هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ، قَالَ: فَهَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ مِنْكُمْ أَحَدٌ قَطُّ قَبْلَهُ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَهَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَأَشْرَافُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ؟ فَقُلْتُ: بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ، قَالَ: أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟ قُلْتُ: بَلْ يَزِيدُونَ، قَالَ: فَهَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَهَلْ يَغْدِرُ؟ قُلْتُ: لَا، وَنَحْنُ مِنْهُ فِي مُدَّةٍ لَا نَدْرِي مَا هُوَ فَاعِلٌ فِيهَا، قَالَ: وَلَمْ تُمْكِنِّي كَلِمَةٌ أُدْخِلُ فِيهَا شَيْئًا غَيْرُ هَذِهِ الْكَلِمَةِ، قَالَ: فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَكَيْفَ كَانَ قِتَالُكُمْ إِيَّاهُ؟ قُلْتُ: الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سِجَالٌ يَنَالُ

مِنَّا وَنَنَالُ مِنْهُ، قَالَ: مَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ قُلْتُ: يَقُولُ: اعْبُدُوا اللهَ وَحْدَهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ وَالصِّلَةِ.

فَقَالَ لِلتَّرْجُمَانِ: قُلْ لَهُ سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ، فَذَكَرْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ، فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا، وَسَأَلْتُكَ: هَلْ قَالَ أَحَدٌ مِنْكُمْ هَذَا الْقَوْلَ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا. فَقُلْتُ: لَوْ كَانَ أَحَدٌ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ قَبْلَهُ لَقُلْتُ: رَجُلٌ يَأْتَسِي بِقَوْلٍ قِيلَ قَبْلَهُ، وَسَأَلْتُكَ: هَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، قُلْتُ: فَلَوْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ قُلْتُ: رَجُلٌ يَطْلُبُ مُلْكَ أَبِيهِ، وَسَأَلْتُكَ: هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، فَقَدْ أَعْرِفُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللهِ، وَسَأَلْتُكَ: أَشْرَافُ النَّاسِ اتَّبَعُوهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ؟ فَذَكَرْتَ أَنَّ ضُعَفَاءَهُمُ اتَّبَعُوهُ وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ، وَسَأَلْتُكَ: أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟ فَذَكَرْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ، وَكَذَلِكَ أَمْرُ الْإِيمَانِ حَتَّى يَتِمَّ، وَسَأَلْتُكَ: أَيَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ حِينَ تُخَالِطُ بَشَاشَتُهُ الْقُلُوبَ، وَسَأَلْتُكَ: هَلْ يَغْدِرُ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا،

وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لَا تَغْدِرُ، وَسَأَلْتُكَ: بِمَا يَأْمُرُكُمْ؟ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَيَنْهَاكُمْ عَنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلَاةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ، فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا، فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ، وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ، فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ. ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فقرأ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ ارْتَفَعَتْ الْأَصْوَاتُ عِنْدَهُ وَكَثُرَ اللَّغَطُ، وَأُمِرَ بِنَا فَأُخْرِجْنَا، قَالَ: فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي حِينَ خَرَجْنَا: لَقَدْ أَمِرَ(١) أَمْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ إِنَّهُ لَيَخَافُهُ مَلِكُ بَنِي الْأَصْفَرِ(٢)، فَمَا زِلْتُ مُوقِنًا بِأَمْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ سَيَظْهَرُ حَتَّى أَدْخَلَ اللهُ عَلَيَّ الْإِسْلَامَ(٣).

---

(١) أي اشتد أمره. وأبو كبشة هو وجز بن غالب الهزاعي جد وهب بن عبد مناف من جهة الأم، ووهب هو جد النبي ﷺ من جهة الأم، كان أبو كبشة مشركا فذهب إلى الشام فتنصر، فلما خالف النبي ﷺ دين قريش وجاء بالحنيفية شبهوه به ونسبوه إليه للتعيير. (دلائل النبوة للبيهقي ١/ ٨٢، ٨٣، والسيرة النبوية لأبي حاتم ص٤٤).

(٢) بنو الأصفر هم الروم.

(٣) صحيح البخاري ١/ ٤، وصحيح مسلم ٢/ ٩٧- ٩٩.

هذا ما رآه أبو سفيان من أثر هذا الكتاب على قيصر، وقد كان من أثره عليه أنه أجاز دحية بن خليفة الكلبي، حامل كتاب الرسول ﷺ بمال وكسوة، ولما كان دحية بحسمي في الطريق لقيه ناس من جذام، فقطعوها عليه، فلم يتركوا معه شيئا، فجاء رسول الله ﷺ قبل أن يدخل بيته، فأخبره، فبعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة إلى حسمي، وهي وراء وادي القري، في خمسمائة رجل، فشن زيد الغارة على جذام، فقتل فيهم قتلا ذريعًا، واستاق نعمهم ونساءهم، فأخذ من النعم ألف بعير، ومن الشاء خمسة آلاف، والسبي مائة من النساء والصبيان.

وكان بين النبي ﷺ وبين قبيلة جذام موادعة، فأسرع زيد بن رفاعة الجذامي أحد زعماء هذه القبيلة بتقديم الاحتجاج إلى النبي ﷺ، وكان قد أسلم هو ورجال من قومه، ونصروا دحية حين قطع عليه الطريق فقبل النبي ﷺ احتجاجه، وأمر برد الغنائم والسبي.

وعامة أهل المغازي يذكرون هذه السرية قبل الحديبية، وهو خطأ واضح، فإن بعث الكتاب إلى قيصر كان بعد

الحديبية، ولذا قال ابن القيم: هذا بعد الحديبية بلا شك(١).

٥- الكتاب إلى المنذر بن ساوي:

وكتب النبي ﷺ إلى المنذر بن ساوي حاكم البحرين كتابًا يدعوه فيه إلى الإسلام، وبعث إليه العلاء بن الحضرمي بذلك الكتاب، فكتب المنذر إلى رسول الله ﷺ:

«أما بعدُ، يا رسول الله، فإني قرأت كتابك إلى أهل البحرين، فمنهم من أحب الإسلام وأعجبه، ودخل فيه، ومنهم من كرهه، وبأرضي مجوس ويهود، فأحدث إليَّ في ذلك أمرك».

فكتب إليه رسول الله ﷺ:

(بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوي، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد، فإني أذكرك الله ﷻ، فإنه من ينصح فإنما ينصح لنفسه، وإنه من يطع رسلي ويتبع أمرهم فقد أطاعني، ومن نصح لهم فقد نصح لي، وإن رسلي قد أثنوا عليك خيرًا، وإني قد شفعتك في

---

(١) انظر: زاد المعاد ٢/ ١٢٢، وحاشية تلقيح فهوم أهل الأثر، ص٢٩.

قومك، فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه، وعفوت عن أهل الذنوب، فاقبل منهم، وإنك مهما تصلح فلم نعزلك عن عملك، ومن أقام على يهودية أو مجوسية فعليه الجزية)(١).

٦- الكتاب إلى هوذة بن علي صاحب اليمامة:

وكتب النبي ﷺ إلى هوذة بن علي صاحب اليمامة:

(بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى هوذة بن علي، سلام على من اتبع الهدى، واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر، فأسلم تسلم، وأجعل لك ما تحت يديك).

واختار لحمل هذا الكتاب سليط بن عمرو العامري، فلما قدم سليط على هوذة بهذا الكتاب مختوما أنزله وحياه، وقرأ عليه الكتاب، فرد عليه ردًّا دون رد ، وكتب إلى النبي ﷺ: (ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله، والعرب تهاب مكاني، فاجعل لي بعض الأمر أتبعك)، وأجاز سليطًا بجائزة، وكساه أثوابًا

(١) زاد المعاد ٣/ ٦١، ٦٢، والنص الذي أورده الدكتور حميد الله- آخذا من صورة الكتاب الذي عثر عليه في الماضي القريب- يختلف في كلمة واحدة، ففيه: (لا إله غيره) بدل قوله: (لا إله إلا هو).

من نسج هجر.

فقدم بذلك كله على النبي ﷺ فأخبره، وقرأ النبي ﷺ كتابه فقال: (لو سألني قطعة من الأرض ما فعلت، بَادَ، وباد ما في يديه)، فلما انصرف رسول الله ﷺ من الفتح جاءه جبريل عليه السلام بأن هوذة مات، فقال النبي ﷺ: (أما إن اليمامة سيخرج بها كذاب يتنبى، يقتل بعدي)، فقال قائل: يا رسول الله، من يقتله؟ فقال: (أنت وأصحابك)، فكان كذلك؟(١).

٧- الكتاب إلى الحارث بن أبي شمر الغساني، صاحب دمشق:

كتب إليه النبي ﷺ:

(بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى الحارث بن أبي شمر، سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله وصدق، وإني أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له، يبقى لك ملكك).

(١) زاد المعاد ٣/ ٦٣.

واختار لحمل هذا الكتاب شجاع بن وهب من بني أسد بن خزيمة، ولما أبلغه الكتاب رمي به وقال: (من ينزع ملكي مني؟ أنا سائر إليه)، ولم يسلم[1]. واستأذن قيصر في حرب رسول الله ﷺ فثناه عن عزمه، فأجاز الحارث شجاع بن وهب بالكسوة، والنفقة، ورده بالحسنى.

٨- الكتاب إلى ملك عمان:

وكتب النبي ﷺ كتابًا إلى ملك عمان جيفر، وأخيه عبد ابني الجلندي، ونصه:

(بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى جيفر، وعبد ابني الجلندي، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد:

فإني أدعوكما بدعاية الإسلام، أسلما تسلما، فإني رسول الله ﷺ إلى الناس كافة، لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين، فإنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما، وإن أبيتما [أن تقرا بالإسلام] فإن ملككما زائل، وخيلي تحل

(١) زاد المعاد ٣/ ٦٣، ومحاضرات تاريخ الأمم الإسلامية للخضري ١/ ١٤٦.

بساحتكما، وتظهر نبوتي على ملككما).

واختار لحمل هذا الكتاب عمرو بن العاص رضي الله عنه قال عمرو: فخرجت حتى انتهيت إلى عمان، فلما قدمتها عمدت إلى عبد- وكان أحلم الرجلين، وأسهلهما خلقًا- فقلت: إني رسول رسول الله ﷺ إليك وإلى أخيك، فقال: أخي المقدم علي بالسن والملك، وأنا أوصلك إليه حتى يقرأ كتابك، ثم قال: وما تدعو إليه؟ قلت: أدعو إلى الله وحده لا شريك له، وتخلع ما عبد من دونه، وتشهد أن محمدًا عبده ورسوله، قال: يا عمرو، إنك ابن سيد قومك فكيف صنع أبوك؟ فإن لنا فيه قدوة.

❊ ❊ ❊

الفصل الثالث
استقبال الوفود وإجازتها

لما فتح رسول الله ﷺ مكة، وفرغ من تبوك، وسمع الناس بيان- براءة- أثناء الحج مع أبي بكر رضي الله عنه، علم الجميع سياسة النبي ﷺ النهائية التي سيبني عليها علاقاته مع الآخرين، بعد أن خضعت له القبائل ذات الشأن في الجزيرة، وقدمت الوفود إلى المدينة طائعين معلنين البيعة والدخول في دين الله أفواجا، كما ذكر الله عز وجل في كتابه.

استقبال الوفود:

كان النبي ﷺ يستقبل الوفود ويحسن استقبالهم ويبالغ في ذلك، ويتلطف بهم رغبة في إسلامهم وطمعا في هدايتهم، على الرغم من أن بعضهم كان لا يعرف الأدب اللائق بحضرته، ولا الأخلاق الواجب التزامها عند القدوم عليه من رفع أصواتهم وغير ذلك، ومع ذلك كان النبي ﷺ يتجاوز عن سيئاتهم، ويلين لهم إذ لو كان فظًا غليظ القلب لانفضوا من حوله.

إجـازة الوفـود

كان النبي ﷺ يقوم على إكرام الوفود وراحتهم، فإذا ما عزم الوفد على العودة والإياب إلى بلادهم كان يأمر لهم بالجوائز من الذهب والفضة والحلل والثياب وغيرها.

بل قد أمر أمته بأن تسير على هذا النهج وتسلك هذا السبيل، كما ذكر ابن عباس رضي الله عنهما قال: اشتد رسول الله ﷺ وجعه يوم الخميس، وأوصى عند موته بثلاث: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفود بنحو ما كنت أجيزهم» ونسيت الثالثة(١).

إسكان الوفود:

وكان ﷺ يأمر بإسكان الوفود في أماكن خصصت للضيافة، منها دار رملة بنت الحارث أسكن فيها وفد بني حنيفة وكذلك وفد محارب وبني كلاب، ومنها دار أبي أيوب الأنصاري أسكن فيها وفد نجران، ومنها دار المغيرة بن شعبة أنزل فيها الأحلاف من وفد ثقيف وأنزل باقي الوفد في

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما.

خيام نصبت بالقرب من المسجد، ومنها دار يزيد بن أبي سفيان أسكن فيها عبد الرحمن بن أبي مالك الهمداني(١).

وكان ﷺ يأمر لهم بالطعام والشراب(٢)، وكان يجعل مع بعض الوفود مرافقًا من الصحابة يمشي بينه وبينهم، مثل جعله خالد بن سعيد بن العاص مع وفد ثقيف، وجعل معاوية بن أبي سفيان مع وائل بن حجر الحضرمي(٣). وهذا يشبه إلى حد كبير ما يجري عليه العمل الآن في الاستقبالات الرسمية لكبار الضيوف أو الوفود، وهو ما يسمى بمرافق الشرف.

والوفود التي سردها أهل المغازي يزيد عددها على سبعين وفدًا، ولا يمكن لنا استقصاءها، وليس كبير فائدة في بسط تفاصيلها، وإنما نذكر منها إجمالًا ما له روعة أو أهمية في التاريخ، وليكن على ذكر من القارئ أن وفادة عامة القبائل

(١) الإصابة لابن حجر (٢/ ٤٢١) وابن سعد (١/ ٢٩٩، ٣٠٤، ٣١٦)، وتاريخ الطبري (٣/ ١٣٧)، وزاد المعاد (٤/ ٣٧).

(٢) ابن سعد (١/ ٣١٦)، وابن كثير في البداية (٥/ ٥٢)، وعيون الأثر (٢/ ٢٥٢).

(٣) سيرة ابن هشام (٤/ ١٥٦)، وإمتاع الأسماع (ص٣٢٧).

وإن كانت بعد الفتح، ولكن هناك قبائل توافدت قبله أيضا:

١- وفد عبد القيس:

كانت لهذه القبيلة وفادتان: الأولى سنة خمس من الهجرة أو قبل ذلك. كان رجل منهم يقال له منقذ بن حيان، يرد المدينة بالتجارة، فلما جاء المدينة بتجارته بعد مقدم النبي ﷺ، وعلم الإسلام أسلم، وذهب بكتاب من النبي ﷺ إلى قومه فأسلموا، فتوافدوا إليه في شهر حرام في ثلاثة أو أربعة عشر رجلا، وفيها سألوا عن الإيمان وعن الأشربة، وكان كبيرهم الأشج العصري الذي قال فيه رسول الله ﷺ: (إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة).

والوفادة الثانية كانت في سنة الوفود، وكان عددهم فيها أربعين رجلًا، وكان فيهم الجارود بن العلاء العبدي، وكان نصرانيا فأسلم وحسن إسلامه(١).

٢- وفد دوس:

كانت وفادة هذه القبيلة في أوائل سنة سبع، ورسول الله ﷺ بخيبر، وقد قدمنا حديث إسلام الطفيل بن عمرو

(١) شرح صحيح مسلم للنووي ١/ ٣٣، وفتح الباري ٨/ ٨٥، ٨٦.

الدوسي، وأنه أسلم ورسول الله ﷺ بمكة، ثم رجع إلى قومه، فلم يزل يدعوهم إلى الإسلام، ويبطئون عليه حتى يئس منهم، ورجع إلى رسول الله ﷺ، فطلب منه أن يدعو على دوس، فقال: (اللهم اهد دوسًا)، ثم أسلم هؤلاء، فوفد الطفيل بسبعين أو ثمانين بيتا من قومه إلى المدينة في أوائل سنة سبع، ورسول الله ﷺ بخيبر، فلحق به.

٣- رسول فروة بن عمرو الجذامي:

كان فروة قائدًا عربيًّا من قواد الرومان، عاملا لهم على من يليهم من العرب، وكان منزله معان وما حوله من أرض الشام، أسلم بعد ما رأي من جلاد المسلمين وشجاعتهم، وصدقهم اللقاء في معركة مؤتة سنة ٨ هـ، ولما أسلم بعث إلى رسول الله ﷺ رسولًا بإسلامه، وأهدي له بغلة بيضاء، ولما علم الروم بإسلامه أخذوه فحبسوه، ثم خيروه بين الردة والموت، فاختار الموت على الردة، فصلبوه بفلسطين على ماء يقال له: عفراء، وضربوا عنقه(١).

---

(١) زاد المعاد ٦/ ٤٥.

٤- وفد صُداء:

جاء هذا الوفد عقب انصراف رسول الله ﷺ من الجعرانة سنة ٨ هـ، وذلك أن رسول الله ﷺ هيأ بعثًا من أربعمائة من المسلمين، وأمرهم أن يطأوا ناحية من اليمن فيها صداء، وبينما ذلك البعث معسكر بصدر قناة علم به زياد بن الحارث الصدائي، فجاء إلى رسول الله ﷺ فقال: جئتك وافدًا على من ورائي، فاردد الجيش وأنا لك بقومي، فرد الجيش من صدر قناة، وجاء الصدائي إلى قومه فرغبهم في القدوم على رسول الله ﷺ، فقدم عليه خمسة عشر رجلا منهم، وبايعوه على الإسلام، ثم رجعوا إلى قومهم، فدعوهم ففشا فيهم الإسلام، فوافى رسول الله ﷺ منهم مائة رجل في حجة الوداع.

٥- قدوم كعب بن زهير بن أبي سلمى:

كان من بيت الشعراء، ومن أشعر العرب، وكان يهجو النبي ﷺ، فلما انصرف رسول الله ﷺ من غزوة الطائف سنة ٨ هـ، كتب إلى كعب بن زهير أخوه بجير بن زهير أن رسول الله ﷺ قتل رجالًا بمكة ممن كانوا يهجونه ويؤذونه، ومن

بقي من شعراء قريش هربوا في كل وجه، فإن كانت لك في نفسك حاجة فطر إلى رسول الله ﷺ، فإنه لا يقتل أحدا جاء تائبًا، وإلا فانج إلى نجاتك، ثم جري بين الأخوين مراسلات ضاقت لأجلها الأرض على كعب، وأشفق على نفسه، فجاء المدينة، ونزل على رجل من جهينة، وصلى معه الصبح، فلما انصرف أشار عليه الجهني، فقام إلى رسول الله ﷺ حتى جلس إليه، فوضع يده في يده، وكان رسول الله ﷺ لا يعرفه فقال: يا رسول الله، إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائبًا مسلمًا، فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به؟ قال: (نعم) قال: أنا كعب بن زهير، فوثب عليه رجل من الأنصار يستأذن ضرب عنقه، فقال: (دعك عنه، فإنه قد جاء تائبا نازعا عما كان عليه).

٦- وفد عذرة:

قدم هذا الوفد في صفر سنة ٩ هـ، وهم اثنا عشر رجلًا فيهم حمزة بن النعمان، قال متكلمهم حين سئلوا (من القوم؟): نحن بنو عذرة، إخوة قصي لأمه، نحن الذين عضدوا قصيًا، وأزاحوا من بطن مكة خزاعة وبني بكر، لنا

قرابات وأرحام، فرحب بهم النبي ﷺ، وبشرهم بفتح الشام، ونهاهم عن سؤال الكاهنة، وعن الذبائح التي كانوا يذبحونها، أسلموا وأقاموا أيامًا ثم رجعوا.

٧- وفد بلي:

قدم في ربيع الأول سنة ٩ هـ، وأسلم وأقام بالمدينة ثلاثًا، وقد سأل رئيسهم أبو الضبيب عن الضيافة هل فيها أجر؟ فقال رسول الله ﷺ: (نعم، وكل معروف صنعته إلى غني أو فقير فهو صدقة)، وسأل عن وقت الضيافة، فقال: (ثلاثة أيام)، وسأل عن ضالة الغنم، فقال: (هي لك أو لأخيك أو للذنب)، وسأل عن ضالة البعير. فقال: (مالك وله؟ دعه حتى يجده صاحبه).

٨- وفد ثقيف:

كانت وفادتهم في رمضان سنة ٩هـ، وقصة إسلامهم أن رئيسهم عروة بن مسعود الثقفي جاء إلى رسول الله ﷺ بعد مرجعه من غزوة الطائف في ذي القعدة سنة ٨ هـ قبل أن يصل إلى المدينة، فأسلم عروة، ورجع إلى قومه، ودعاهم إلى الإسلام- وهو يظن أنهم يطيعونه؛ لأنه كان سيدا مطاعا في

قومه، وكان أحب إليهم من أبكارهم- فلما دعاهم إلى الإسلام رموه بالنبل من كل وجه حتى قتلوه، ثم أقاموا بعد قتله أشهرًا، ثم ائتمروا بينهم، ورأوا أنه لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب- الذين كانوا قد بايعوا وأسلموا- فأجمعوا أن يرسلوا رجلا إلى رسول الله ﷺ، فكلموا عبد ياليل بن عمرو، وعرضوا عليه ذلك فأبى، وخاف أن يصنعوا به إذا رجع مثل ما صنعوا بعروة. وقال: لست فاعلا حتى ترسلوا معي رجالًا، فبعثوا معه رجلين من الأحلاف وثلاثة من بني مالك، فصاروا ستة فيهم عثمان بن أبي العاص الثقفي، وكان أحدثهم سنًا.

فلما قدموا على رسول الله ﷺ ضرب عليهم قبة في ناحية المسجد، لكي يسمعوا القرآن، ويروا الناس إذا صلوا، ومكثوا يختلفون إلى رسول الله ﷺ، وهو يدعوهم إلى الإسلام، حتى سأل رئيسهم أن يكتب لهم رسول الله ﷺ قضية صلح بينه وبين ثقيف، يأذن لهم فيه بالزنا وشرب الخمور، وأكل الربا، ويترك لهم طاغيتهم اللات، وأن يعفيهم من الصلاة، وألا يكسروا أصنامهم بأيديهم، فأبى

رسول الله ﷺ أن يقبل شيئًا من ذلك، فخلوا وتشاوروا فلم يجدوا محيصًا عن الاستسلام لرسول الله ﷺ، فاستسلموا وأسلموا، واشترطوا أن يتولى رسول الله ﷺ هدم اللات، وأن ثقيفًا لا يهدمونها بأيديهم أبدًا، فقبل ذلك، وكتب لهم كتابًا، وأمر عليهم عثمان بن أبي العاص الثقفي؛ لأنه كان أحرصهم على التفقه في الإسلام، وتعلم الدين والقرآن. وذلك أن الوفد كانوا كل يوم يغدون إلى رسول الله ﷺ، ويخلفون عثمان بن أبي العاص في رحالهم، فإذا رجعوا وقالوا بالهاجرة عمد عثمان بن أبي العاص إلى رسول الله ﷺ فاستقرأه القرآن، وسأله عن الدين، وإذا وجده نائما عمد إلى أبي بكر لنفس الغرض (وكان من أعظم الناس بركة لقومه في زمن الردة، فإن ثقيفًا لما عزمت على الردة قال لهم: يا معشر ثقيف، كنتم أخر الناس إسلامًا، فلا تكونوا أول الناس ردة، فامتنعوا عن الردة، وثبتوا على الإسلام).

ورجع الوفد إلى قومه فكتمهم الحقيقة، وخوفهم بالحرب والقتال، وأظهر الحزن والكآبة، وأن رسول الله ﷺ سألهم الإسلام وترك الزنا والخمر والربا وغيرها وإلا

يقاتلهم. فأخذت ثقيفًا نخوة الجاهلية، فمكثوا يومين أو ثلاثة يريدون القتال، ثم ألقى الله في قلوبهم الرعب، وقالوا للوفد: ارجعوا إليه فأعطوه ما سأل. وحينئذ أبدى الوفد حقيقة الأمر، وأظهروا ما صالحوا عليه، فأسلمت ثقيف.

وبعث رسول الله ﷺ رجالًا لهدم اللات، أمر عليهم خالد بن الوليد، فقام المغيرة ابن شعبة، فأخذ الكرزين وقال لأصحابه: والله لأضحكنكم من ثقيف، فضرب بالكرزين، ثم سقط يركض، فارتج أهل الطائف، وقالوا: أبعد الله المغيرة، قتلته الربة، فوثب المغيرة فقال: قبحكم الله، إنما هي لكاع حجارة ومدر، ثم ضرب الباب فكسره، ثم علا أعلى سورها، وعلا الرجال فهدموها وسووها بالأرض حتى حفروا أساسها، وأخرجوا حليها ولباسها، فبهتت ثقيف، ورجع خالد مع مفرزته إلى رسول الله ﷺ بحليها وكسوتها، فقسمها رسول الله ﷺ من يومه، وحمد الله على نصرة نبيه وإعزاز دينه(١).

---

(١) زاد المعاد ٣/ ٢٦- ٢٨، وابن هشام ٢/ ٥٣٧- ٥٤٢. والكرزين: القلعة.

٩- رسالة ملوك اليمن:

وبعد مرجع النبي ﷺ من تبوك قدم كتاب ملوك حمير، وهم الحارث بن عبد كلال، ونعيم بن عبد كلال، والنعمان، وقيل ذي رعين وهمدان ومعافر، ورسولهم إليه ﷺ مالك بن مرة الرهاوي، بعثوه بإسلامهم ومفارقتهم الشرك وأهله، وكتب إليهم رسول الله ﷺ كتابا بين فيه ما للمؤمنين وما عليهم، وأعطى فيه المعاهدين ذمة الله وذمة رسوله إذا أعطوا ما عليهم من الجزية وبعث إليهم رجالا من أصحابه أميرهم معاذ بن جبل، وجعله على الكورة العلياء من جهة عدن بين السكون والسكاسك، وكان قاضيًا وحاكما في الحروب، وعاملا على أخذ الصدقة والجزية، ويصلي بهم الصلوات الخمس، وبعث أبا موسى الأشعري رضي الله عنه على الكورة السفلى: زبيد ومأرب وزمع والساحل، وقال: (يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا ولا تختلفا)، وقد مكث معاذ باليمن حتى توفي رسول الله ﷺ، أما أبا موسى الأشعري رضي الله عنه فقدم عليه ﷺ في حجة الوداع.

١٠- وفد همدان:

قدموا سنة ٩هـ، بعد مرجعه ﷺ من تبوك، فكتب لهم رسول الله ﷺ كتابًا أقطعهم فيه ما سألوه، وأمر عليهم مالك بن النمط، واستعمله على من أسلم من قومه، وبعث إلى سائرهم خالد بن الوليد يدعوهم إلى الإسلام، فأقام ستة أشهر يدعوهم فلم يجيبوه، ثم بعث علي بن أبي طالب، وأمره أن يقفل[١] خالدًا، فجاء علي إلى همدان، وقرأ عليهم كتابًا من رسول الله ﷺ، ودعاهم إلى الإسلام فأسلموا جميعا، وكتب علي ببشارة إسلامهم إلى رسول الله ﷺ، فلما قرأ الكتاب خر ساجدًا، ثم رفع رأسه فقال: (السلام على همدان، السلام على همدان).

١١- وفد بني فزارة:

قدم هذا الوفد سنة ٩ هـ، بعد مرجعه ﷺ من تبوك، قدم في بضعة عشر رجلًا جاءوا مقرين بالإسلام، وشكوا جدب بلادهم، فصعد رسول الله ﷺ المنبر، فرفع يديه واستسقى،

---

(١) يقفل: يعود.

وقال: (اللهم اسق بلادك وبهائمك، وانشر رحمتك، وأحي بلدك الميت، اللهم اسقنا غيثا مغيثًا مريئًا مريعًا، طبقًا واسعًا، عاجلًا غير أجل، نافعًا غير ضار، اللهم سقيا رحمة، لا سقيا عذاب، ولا هدم ولا غرق ولا محق، اللهم اسقنا الغيث، وانصرنا على الأعداء)[١].

١٢- وفد نجران:

(نجران) بفتح النون وسكون الجيم: بلد كبير على سبع مراحل من مكة إلى جهة اليمن، كان يشتمل على ثلاث وسبعين قرية، مسيرة يوم للراكب السريع[٢]، وكان يؤلف مائة ألف مقاتل كانوا يدينون بالنصرانية.

وكانت وفادة أهل نجران سنة ٩ هـ، وقوام الوفد ستون رجلًا منهم أربعة وعشرون من الأشراف، فيهم ثلاثة كانت إليهم زعامة أهل نجران: أحدهم: العاقب، كانت إليه الإمارة والحكومة، واسمه عبد المسيح. والثاني: السيد، كانت تحت إشرافه الأمور الثقافية والسياسية، واسمه الأيهم أو شرحبيل.

(١) زاد المعاد ٣/ ٤٨.

(٢) فتح الباري ٨/ ٩٤.

والثالث: الأسقف، وكانت إليه الزعامة الدينية، والقيادة الروحانية، واسمه أبو حارثة بن علقمة.

ولما نزل الوفد بالمدينة، ولقي النبي ﷺ سألهم وسألوه، ثم دعاهم إلى الإسلام، وتلا عليهم القرآن فامتنعوا، وسألوه عما يقول في عيسى عليه السلام، فمكث رسول الله ﷺ يومه ذلك حتى نزل عليه: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٥٩- ٦١].

ولما أصبح رسول الله ﷺ أخبرهم بقوله في عيسى ابن مريم في ضوء هذه الآية الكريمة، وتركهم ذلك اليوم؛ ليفكروا في أمرهم، فأبوا أن يقروا بما قال في عيسى. فلما أصبحوا- وقد أبوا عن قبول ما عرض عليهم من قوله في عيسى، وأبوا عن الإسلام- دعاهم رسول الله ﷺ إلى المباهلة، وأقبل مشتملا على الحسن والحسين في خميل له، وفاطمة تمشي

عند ظهره، فلما رأوا منه الجد والتهيؤ خلوا وتشاوروا، فقال كل من العاقب والسيد للآخر: لا تفعل، فوالله لئن كان نبيًّا فلاعناه لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا، فلا يبقى على وجه الأرض منا شعرة ولا ظفر إلا هلك، ثم اجتمع رأيهم على تحكيم رسول الله ﷺ في أمرهم، فجاءوا وقالوا: إنا نعطيك ما سألتنا. فقبل رسول الله ﷺ منهم الجزية، وصالحهم على ألفي حلة: ألف في رجب، وألف في صفر، ومع كل حلة أوقية، وأعطاهم ذمة الله وذمة رسوله، وترك لهم الحرية الكاملة في دينهم، وكتب لهم بذلك كتابًا، وطلبوا منه أن يبعث عليهم رجلًا أمينًا، فبعث عليهم أمين هذه الأمة أبا عبيدة بن الجراح؛ ليقبض مال الصلح.

ثم طفق الإسلام يفشو فيهم، فقد ذكروا أن السيد والعاقب أسلما بعد ما رجعا إلى نجران، وأن النبي ﷺ بعث إليهم عليًّا؛ ليأتيه بصدقاتهم وجزيتهم، ومعلوم أن الصدقة إنما تؤخذ من المسلمين(١).

---

(١) فتح الباري ٨/ ٩٤- ٩٥، وزاد المعاد ٣/ ٣٨- ٤١، وقد اضطربت الروايات في بيان كيفية وفد نجران، حتى جنح بعض المحققين=

١٣- وفد بني حنيفة:

كانت وفادتهم سنة ٩هـ، وكانوا سبعة عشر رجلًا فيهم مسيلمة الكذاب[١]. وهو مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب بن الحارث من بني حنيفة- نزل هذا الوفد في بيت رجل من الأنصار، ثم جاءوا إلى النبي ﷺ فأسلموا، واختلفت الروايات في مسيلمة الكذاب، ويظهر بعد النظر في جميعها أن مسيلمة صدر منه الاستنكاف والأنفة والاستكبار والطموح إلى الإمارة، وإنه لم يحضر مع سائر الوفد إلى رسول الله ﷺ، وأن النبي ﷺ أراد استئلافه بالإحسان بالقول والفعل أولا، فلما رأى أن ذلك لا يجدي فيه نفعًا تفرس فيه الشر.

وكان النبي ﷺ قد رأى قبل ذلك في المنام أنه أتى بخزائن الأرض، فوقع في يديه سواران من ذهب، فكبرا عليه وأهماه، فأوحى إليه أن انفخهما فنفخهما فذهبا، فأولهما كذابين

= إلى أن وفادة أهل نجران كانت مرتين. وقد ذكرنا- ملخصا- ما ترجح عندنا في هذا الوفد.

(١) فتح الباري ٨/ ٨٧.

يخرجان من بعده، فلما صدر من مسيلمة ما صدر من الاستنكاف- وقد كان يقول: إن جعل لي محمد الأمر من بعده تبعته- جاءه رسول الله ﷺ وفي يده قطعة من جريد، ومعه خطيبه ثابت بن قيس بن شماس، حتى وقف على مسيلمة في أصحابه، فكلمه، فقال له مسيلمة: إن شئت خلينا بينك وبين الأمر، ثم جعلته لنا بعدك، فقال: (لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها، ولن تعدو أمر الله فيك، ولئن أدبرت ليعقرنك الله، والله إني لأراك الذي أريت فيه ما رأيت، وهذا ثابت يجيبك عني)، ثم انصرف(١).

وأخيرًا وقع ما تفرس فيه النبي ﷺ، فإن مسيلمة لما رجع إلى اليمامة بقي يفكر في أمره، حتى ادعي أنه أشرك في الأمر مع النبي ﷺ، فادعى النبوة، وجعل يسجع السجعات، وأحل لقومه الخمر والزنا، وهو مع ذلك يشهد لرسول الله ﷺ أنه نبي، وافتتن به قومه فتبعوه وأصفقوا معه، حتى تفاقم أمره، فكان يقال له: رحمان اليمامة لعظم قدره فيهم، وكتب إلى

---

(١) انظر: صحيح البخاري: باب وفد بني حنيفة، وباب قصة الأسود العنسي ٢/ ٦٢٧، ٦٢٨، وفتح الباري ٨/ ٨٧- ٩٣.

رسول الله ﷺ كتابًا قال فيه: إني أشركت في الأمر معك، وإن لنا نصف الأمر، ولقريش نصف الأمر، فرد عليه رسول الله ﷺ بكتاب قال فيه: ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨](١).

وعن ابن مسعود: جاء ابن النواحة، وابن أثال رسولا مسيلمة إلى النبي ﷺ، فقال لهما: (أتشهدان أني رسول الله؟) فقالا: نشهد أن مسيلمة رسول الله، فقال النبي ﷺ: (آمنت بالله ورسوله، لو كنت قاتلا رسولا لقتلتكما)(٢).

كان ادعاء مسيلمة النبوة سنة عشرة، وقُتل في حرب اليمامة في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه في ربيع الأول سنة ٢١هـ، قتله وحشي قاتل حمزة، وأما المتنبئ الثاني، وهو الأسود العنسي الذي كان باليمن، فقتله فيروز، واحتز رأسه قبل وفاة النبي ﷺ بيوم وليلة، فأتاه الوحي فأخبر به أصحابه، ثم جاء الخبر من اليمن إلى أبي بكر رضي الله عنه(٣).

---

(١) زاد المعاد ٣/ ٣١، ٣٢.

(٢) رواه الإمام أحمد، وانظر: مشكاة المصابيح ٢/ ٣٤٧.

(٣) فتح الباري ٨/ ٩٣.

١٤- وفد بني عامر بن صَعْصَعة:

كان فيهم عامر بن الطفيل عدو الله وأربد بن قيس- أخو لبيد لأمه- وخالد بن جعفر، وجبار بن أسلم، وكانوا رؤساء القوم وشياطينهم، وكان عامر هو الذي غدر بأصحاب بئر معونة، فلما أراد هذا الوفد أن يقدم المدينة تآمر عامر وأربد، واتفقا على الفتك بالنبي ﷺ، فلما جاء الوفد جعل عامر يكلم النبي ﷺ، ودار أربد خلفه، واخترط سيفه شبرًا، ثم حبس الله يده فلم يقدر على سله، وعصم الله نبيه، ودعا عليهما النبي ﷺ، فلما رجعا أرسل الله على أربد وجمله صاعقة فأحرقته، وأما عامر فنزل على امرأة سلولية، فأصيب بغدة في عنقه فمات وهو يقول: أغدة كغدة البعير، وموتا في بيت السلولية.

وفي صحيح البخاري: أن عامرًا أتى النبي ﷺ فقال: أخيرك بين خصال ثلاث: يكون لك أهل السهل ولي أهل المدر، أو أكون خليفتك من بعدك، أو أغزوك بغطفان بألف أشقر وألف شقراء، فطعن (أصابه الطاعون) في بيت امرأة، فقال: أغدة كغدة البعير، في بيت امرأة من بني فلان! ايتوني

بفرسي، فركب، فمات على فرسه.

١٥- وفد تجيب:

قدم هذا الوفد بصدقات قومه مما فضل عن فقرائهم، وكان الوفد ثلاثة عشر رجلًا، وكانوا بها، ولم يطيلوا اللبث، ولما أجازهم رسول الله ﷺ بعثوا إليه غلامًا كانوا خلفوه في رحالهم، فجاء الغلام، وقال: والله ما أعملني[١] من بلادي إلا أن تسأل الله ﷻ أن يغفر لي ويرحمني، وأن يجعل غناي في قلبي، فدعا له بذلك، فكان أقنع الناس، وثبت في الردة على الإسلام، وذكر قومه ووعظهم فثبتوا عليه، والتقي أهل الوفد بالنبي ﷺ مرة أخرى في حجة الوداع سنة ١٠ هـ.

١٦- وفد طييء:

قدم هذا الوفد وفيهم زيد الخيل، فلما كلموا النبي ﷺ، وعرض عليهم الإسلام أسلموا وحسن إسلامهم، وقال رسول الله ﷺ عن زيد: (ما ذكر لي رجل من العرب بفضل، ثم جاءني إلا رأيته دون ما يقال فيه، إلا زيد الخيل، فإنه لم يبلغ كل ما فيه). وسماه زيد الخير.

---

(١) ما أحضرني.

وهكذا تتابعت الوفود إلى المدينة في سنتي تسع وعشر، وقد ذكر أهل المغازي والسير منها وفود أهل اليمن، والأزد وبني سعد هذيم من قضاعة، وبني عامر بن قيس، وبني أسد، وبهراء وخولان ومحارب وبني الحارث بن كعب وغامد وبني المنتفق، وسلامان، وبني عبس، ومزينة، ومراد، وزبيد، وكندة، وذي مرة، وغسان، وبني عيش، ونخع- وهو آخر الوفود، توافد في منتصف محرم سنة ١١ هـ في مائتي رجل- وكانت وفادة الأغلبية من هذه الوفود سنة ٩و ١٠ هـ، وقد تأخرت وفادة بعضها إلى سنة ١١ هـ.

وتتابع هذه الوفود يدل على مدى ما نالت الدعوة الإسلامية من القبول التام، وبسط السيطرة والنفوذ على أنحاء جزيرة العرب وأرجائها، وأن العرب كانت تنظر إلى المدينة بنظر التقدير والإجلال، حتى لم تكن ترى محيصًا عن الاستسلام أمامها، فقد صارت المدينة عاصمة لجزيرة العرب، لا يمكن صرف النظر عنها، إلا أننا لا يمكن لنا القول بأن الدين قد تمكن من أنفس هؤلاء بأسرهم؛ لأنه كان وسطهم كثير من الأعراب الجفاة الذين أسلموا تبعًا لسادتهم،

ولم تكن أنفسهم قد خلصت بعد عما تأصل فيها من الميل إلى الغارات، ولم تكن تعاليم الإسلام قد هذبت أنفسهم تمام التهذيب.

وقد وصف القرآن بعضهم بقوله في سورة «التوبة»: ﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ٩٧، ٩٨].

وأثنى على آخرين منهم فقال: ﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ٩٩].

أما الحاضرون [أهل الحضر] منهم في مكة والمدينة وثقيف، وكثير من اليمن والبحرين، فقد كان الإسلام فيهم قويًا، ومنهم كبار الصحابة وسادات المسلمين(١).

---

(١) كلمة للخضري في محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية ١/ ١٤٤ وانظر في تفاصيل الوفود التي ذكرناها أو أشرنا إليها: صحيح=

الخاتمـة

إن أول تأسيس حقيقي للدولة الإسلامية كان عقب هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة، دولة تسودها أحكام الإسلام التي يتنزل بها القرآن من عند الله، والتي ينفذها رسول الله ﷺ، فكانت نبوة تصرف شئون الناس مباشرة على هدي الوحي، ليكون في ذلك ترسيخ لنظام الإسلام المتكامل بعدم الفصل بين الدين والدولة في مجتمع المسلمين.

وزبدة القول أن سياسة الدولة الإسلامية الخارجية لم تكن اقتباسًا من أي نظام آخر لأي دولة سابقة عن الإسلام أو معاصرة له، فقد كان النبي ﷺ يتصرف في كل حالة وفقا لما تقتضيه المصلحة حتى يصل للحل الرشيد أما بتلقيه ذلك عن الوحي، أو يصدر عنه ﷺ بعد مشاورته لأصحابه، حتى يتضح المسلك الأصوب والطريق السوي فيأخذ به.

= البخاري ١/ ١٣، ٢/ ٦٢٦- ٦٣٠، وابن هشام ٢/ ٥٠١- ٥٠٣، ٥١٠- ٥١٤، ٥٣٧- ٥٤٢، ٥٦٠- ٦٠١، وزاد المعاد ٣/ ٢٦- ٦٠، وفتح الباري ٨/ ٨٣- ١٠٣.

وبهذا يمكن القول بأن الإسلام بنظامه الفريد الفذ في كل شأن من شئون الحياة، وفي كل نظام من الأنظمة الداخلية أو الخارجية، لا يشبه أي نظام أخر، ولا يصح القول بأنه يتطابق مع النظم الوضعية اشتراكية كانت أو ديمقراطية أو ثيوقراطية.

ويمكن أن نجمل القول في معالم السياسة الخارجية للرسول في عهد النبوة في الآتي:

١ - تأمين الجبهة الداخلية قبل الانتشار الخارجي، حيث وادع يهود المدينة وعاهدهم، للدفاع عن المدينة والذب عنها.

٢- توطيد العلاقات الخارجية بالمحيطين الأقربين ثم الذين يلونهم، بإنشاء علاقات مع القبائل ذات الشأن القاطنة حول المدينة لضمان ولائهم أو على الأقل حيادهم.

٣- إظهار القوة أمام الأعداء مهما كانوا من القوة والعتاد، وعدم الخنوع أو الشعور بالخور أو الوهن، إذ لا ضعف مع الإيمان، فما كانت قريش لتخيفه بقوتها أو ترهبه بأحزابها وأعوانها، حتى إذا انهكت الحرب قريشًا، ومدت

يدها طلبا للسلم، لبي طلبها ﷺ وبادلها الرغبة في إنهاء الحرب.

٤- المرونة في المفاوضات السلمية، وعدم التشدد في الأمور، ما لم يكن الأمر جوهريًّا أو فيه إعاقة لمسار الدعوة الإسلامية.

٥- وجوب الوفاء بالمعاهدات التي تعقدها الدولة الإسلامية، ولو ترتب على ذلك ضرر ببعض الأفراد، فالمصلحة العامة ألزم، ولا تنقض المعاهدة حتى ينقضها الطرف الآخر.

٦- المبادرة والمسارعة إلى إرسال الرسل والسفراء إلى زعماء الدول غير الإسلامية بالطرق السلمية، وقبول وفادة الدول الأخرى مع حمايتهم وإضفاء الحصانة عليهم.

٧- عدم حمل الناس على الدخول في الإسلام بالقوة، إذ لا إكراه في الدين، مع ضرورة إزالة كل العوائق التي تقف أمام الدعوة إلى الإسلام وتبليغ تعاليمه، حتى لو أدى ذلك إلى استخدام القوة في إزاحة الحواجز أو إزالتها.

وفي الختام:

أسأل الله ﷻ أن يجعل عملي خالصا لوجهه، وأن يتقبله بقبول حسن، وأن يجعله مفيدًا للراغبين والباحثين، وأن يتجاوز عما به من زلل أو خطأ أو نسيان، إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

* * *

فهرس الكتاب

الموضوع **الصفحة**

❋❋❋